

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: 122]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

زادوا هذا القصدَ بيانًا بالإبدال من ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قولهم ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾؛ لِئَلَّا يُتَوَهَّمِ المبالغةُ في وصفِ فرعونَ بأنه ربُّ جميع العالمين⁽¹⁾.

احتباس يزيل
لُجَّةَ الجاهلين

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَهَارُونَ﴾: هو اسمٌ أعجميٌّ معرَّبٌ، ورد في القرآن الكريم عشرين مرَّةً، ولم يردَّ في شيءٍ من كلام العرب، ولا اشتقاق له في اللغة العربيَّة، وهارونُ اسمُ النَّبِيِّ أخِي موسى⁽²⁾.

✽ المعنى الإجماليُّ:

أمَّا ربُّ موسى وهارون الذي أنزل عليهما هذه المعجزةَ العظيمةَ الدَّالَّةَ على صدقِهما، وعلى ربوبيَّته وحده⁽³⁾، وإنَّما قالوا: ربُّ موسى وهارون؛ لأنَّ فرعونَ كان يدَّعي الربوبيةَ فأرادوا عزله⁽⁴⁾؛ لِئَلَّا يُتَوَهَّمِ متوهمٌ من قوم فرعون المُقرِّين بِالْهَيْتَةِ أَنَّ السَّجودَ له⁽⁵⁾. وتُرشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى ضرورةِ تبيينِ القصدِ من الكلام، وإيضاحِ المرادِ منه؛ دفعًا للإيهام، ورفعًا للإلباس.

الرَّبُّ الَّذِي
آمَنَ بِهِ مُوسَى
وَهَارُونُ، هُوَ
المُعْبُودُ بِحَقِّ

✽ الإيضاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلادةُ العُدُولِ إِلَى التَّصْرِيحِ فِي السِّيَاقِ:

عُرِّفَتْ لفظَةُ ﴿رَبِّ﴾ بالإضافةِ إلى موسى وهارون ﷺ بالتَّشْرِيكِ

لفظُ (رَبِّ)
رَفَعَ لِلإِلْبَاسِ،
وَتَبَكَّيْتُ لِمَنْ كَفَرَ
مَنْ النَّاسِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/53.

(2) الأزهرِّي، تهذيب اللغة، والرَّاعِب، المفردات: (هرن).

(3) الشَّنْقِيطِي، العذب الثَّمير: 4/88.

(4) الخازن، لباب التَّأْوِيل: 3/325.

(5) الشُّوكَاي، فتح القدير: 2/265.

عن طريق واو العطف، وخصًا بالذكر تشريفًا لهما، وتفضيلًا، أو لأنهما القائمان بالدعوة في تلك الحال⁽¹⁾، وأحرّ بهذا الموضع أن يُشَرَّفَ المتَّبِعُ، ويُفَضَّلَ، ويُهَانَ المُبْتَدِعُ، ويَذَمُّ.

وَجْهُ الاحتِراسِ والتَّبَكُّيتِ في الآية:

إِلْزَامُ فِرْعَوْنَ
الْحُجَّةَ، بِأَنَّهُ
لَيْسَ بِرَبِّ، وَأَنَّ
الرَّبَّ هُوَ اللَّهُ
وَحْدَهُ

وتعيَّن في تعريفِ البَدَلِ طريقُ تعريفِ الإضافة؛ لأنها أخصرُّ طريق، وأوضحه هنا؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون اسمًا علمًا على الذاتِ العليَّةِ، وهذا ما يقتضيه تعليمُ اللَّهِ اسمَه لموسى حينَ كَلَّمَهُ فقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾⁽²⁾، فالإضافةُ باعتبارِ حالِ المضافِ إليه، وإلا لما تخلَّصوا مِنَ الدَّعْوَى؛ لأنَّ فِرْعَوْنَ قد يقول: أنا ربُّ العالمين، الذين من ضِمْنِهِمْ موسى وهارونُ؛ فتتضمَّنُ الإضافةُ معنى الاعتقادِ أيَّ الربِّ الذي يعتقِدُ ربوبيَّته موسى وهارونُ، ويكونُ عدمُ صدقِه على فِرْعَوْنَ بزعمِه أيضًا ظاهرًا جدًّا، فهو احتِراسٌ⁽³⁾؛ لأنَّ فِرْعَوْنَ كان يقول: هو ربُّهم⁽⁴⁾. وهو كذلك تبكَّيتٌ⁽⁵⁾ لفِرْعَوْنَ بإلزامِه الحُجَّةَ بأنَّه ليس برَبِّ، وأنَّ الربَّ في الحقيقة هو هذا⁽⁶⁾.

نُكْتَةُ عدمِ الاكتفاءِ بِمُوسَى، وإِتْبَاعِه بِهَارُونَ:

دَفْعُ تَوْهُمِ إِرَادَةِ
الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ
لِلْفُظَّةِ الرَّبِّ

ولم يقتصرُوا على موسى ﷺ وأتَّبَعُوهُ بهَارُونَ؛ لدفعِ تَوْهُمِ إِرَادَةِ المعنى اللَّغَوِيِّ لِلْفُظَّةِ الرَّبِّ، أي: التَّربِيَّةُ فهو من رَبِّي موسى في صِغَرِه؛ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ وَإِنَّ رَبِّي موسى وهو صَغِيرٌ، إِلَّا إِنَّه لم يَرَبِّ هَارُونَ قَطْعًا، ولذا قَدَّمَ هَارُونَ في محلِّ آخِرٍ ﴿فَأَلْفَى السَّحَرَةَ﴾

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/169، والسُّوكَاي، فتح القدير: 4/115 - 116.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/53.

(3) الاحتِراس، والاحتِراز، والتَّتميم، والاحتِياط؛ وهو الإتيانُ بكلامٍ لو استمرَّ عليه لكان فيه طعنٌ، فيأتي بما يُتَحَرَّزُ من ذلك الطَّعن. ينظر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ص: 40.

(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/242، والآلوسي، روح المعاني: 9/26.

(5) التَّبَكُّيت: التَّفْرِيع والتَّوْبِيخ، والغَلْبَةُ بِالْحُجَّةِ، والإِلْزَامُ بِالسَّكْتِ، للعجزِ عَنِ الْجَوَابِ عَنْهُ. ينظر: الرَّمْخُسَرِيُّ، أساس البلاغة، والزَّيْدِيُّ، تاج العروس: (بكت).

(6) السُّوكَاي، فتح القدير: 4/115 - 116.

سُجِّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ [طه: 70]؛ لَأَنَّهُ أَدْخَلَ فِي دَفْعِ التَّوَهُّمِ (1).

بَلَاغَةُ التَّزْدِيدِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

اللفظُ تردَّدَ مرَّتين، وفي كلِّ مرَّةٍ تعلَّقَ بلفظٍ غيرِ اللفظِ الذي تعلَّقَ به عند تكراره، وفي ارتباط كلِّ منهما بلفظٍ جديدٍ تخصيصٌ للمعنى الذي جسَّده اللفظُ في أوَّلِ آيةٍ كريمةٍ، وتقويةٌ وإحكامٌ لها؛ وليبرزَ على أثره نَسَقًا صوتيًّا، ومظهرًا إيقاعيًّا في الآيتين قوامه التكرارُ المُفضي إلى التوكيد الدالُّ على المبالغة في المدح، والثناء، ومفاجأة السامع، وإدهاشه، وتكثيفِ المعنى بما يُرسِّخُ تغلغلَ الربوبية في قلوب السحرة، وظهور ذلك بلزومها ألسنتهم.

سِرُّ اتِّبَاعِ التَّرَاكِبِ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي السِّيَاقِ:

جملة: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ﴾ بدلٌ من ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أو عطفٌ بيان، ويجوزُ أن يكون نعتًا (2)؛ لأنَّ فرعونَ كان يدَّعي الربوبية، فأرادوا أن يعزلوه (3)؛ لدفع توهُّمِ إرادة فرعون، وأنَّ السَّجودَ كان له حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك، ولو وقفوا على ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لقال فرعون: أنا ربُّ العالمين إياي عنوا؛ فزادوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ﴾، فهو إبدالٌ للتوضيح، ودفعِ التَّوَهُّمِ، ورفع الإشكال، والإشعار على أنَّ الموجبَ لإيمانهم ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة (4).

تَوْجِيهُ مُتَشَابِهِ اللَّفْظِ، بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَمِثْلَاتِهَا فِي مَوَاقِعَ أُخَرَ:

وجهُ تقديم موسى هنا وفي [شعراء: 47 - 48]، وتقديم هارون في طه: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 70]، فضلًا عن رعاية

مَلَمَحُ الْمَبَالِغَةِ
فِي الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ،
وَمُفَاجَأَةِ
السَّامِعِ

تَعَالُقُ التَّرَاكِبِ
عَلَى التَّبَعِيَّةِ
تَوْضِيحٌ، وَدَفْعٌ
لِلتَّوَهُّمِ

اِخْتِلَافُ التَّقْدِيمِ
وَالتَّأْخِيرِ
فِي الْآيَاتِ
الْمُتَشَابِهَةِ عِنَايَةً
وَاهْتِمَامًا

(1) حقِّي، روح البيان: 3/214.

(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 9/265.

(3) الرَّمْخُشَرِيُّ، الكَشَاف: 3/313، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/440.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/28، و4/138، وحقِّي، روح البيان: 6/274.

الفاصلة، أَنَّ التّقديم وقع في الحكاية لا في المحكي؛ فيكون صدرَ منهم قولان، قدّما في أحدهما اسمَ هارون اعتبارًا بكبر سنّه، وقدّما اسمَ موسى في القول الآخر اعتبارًا بفضلِهِ على هارون بالرّسالة وكلام الله تعالى، ولكون موسى هو المنسوبُ إليه العصا التي ظهرَ فيها ما ظهرَ من الإعجاز فهو محطُّ العناية ومناطُ الاهتمام بوصفه المرسل، والمكلفُ بالتبليغ، والحجاج، وهارون كان مناصِرًا وعونًا لموسى في دعوته؛ لكونه أفصحَ منه نطقًا، فطلبَ إلى الله أن يرسله معه عونًا يصدّقه في رسالته، ويبينُ لقومه ما يخاطبُهم به موسى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: 34]، فاختلفَ العبارتين باختلاف الاعتبارين⁽¹⁾.

كما أنّ ذكرَ هارون في سورة طه قد تكرر كثيرًا وجعله الله تعالى شريكاً لموسى في التبليغ، وكانت جُلُ صيغ الخطاب إليهما من الله تعالى، ومن فرعون بالتثنية، على خلاف الأعراف والشعراء، فناسب إشراكه في التبليغ ذكره مقدّمًا⁽²⁾.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/365، و6/242، والآلوسي، روح المعاني: 9/26، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/263.

(2) السامرائي، برنامج لمسات بيانية، رابط الحلقة على الشبكة: <https://tadars.com/tdbr/eloquence/8749>.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع
القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 14، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-10-4

يشتمل على إرجاعات بليوجرافية.

مج. 14: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 978-9948-768-10-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»